معاً نخطّ الطريق

المقاربة التربوية للحركة الكشفية

كشافة الإمام المهدي عجّل

الله فرجه

باسمه تعالى

١ الكشفيّة

ماذا يتبادر إلى ذهنك عند سماع كلمة الكشفية ؟

بمجرد سماع كلمة الكشفية تتداعى إلى الذهن العديد العديد من المفردات التي تعبّر عن نظرتنا إلى هذه الحركة ومعرفتنا بها.

عناصر، مخيمات،نظام،اعتماد على النفس، لباس كشفي، صافرة، طبيعة، تربية، استكشاف، مواهب، قدرات، رحيل، مسيرة، فولار، عصا، بلطة، موقدة، نار، شعار، أهداف، قانون، ترفيع، الوعد، ترفيه، صرخات، رحلات، مساعدة الأخرين ...

٢ التعريف

وعليه من اليسير تعريف الحركة الكشفية بالاستناد إلى المفردات التي ذكرناها، وما يمكن أن نضيفه.

فنقول:

الحركة الكشفية هي حركة تربوية تطوعية تهدف إلى تنمية قدرات الشباب وفق مبادئ وطريقة خاصة بمعاونة الراشدين.

٣ مع التعريف

حركة : تعني مجموعة من الأنشطة المنظّمة التي تؤدّي لتحقيق هدف معين .

تربوية : المشهور عن الحركة الكشفية في أوساطنا العامة أنها حركة "ترفيهية"، وهذا صحيح باعتبار أن الكشفية قدّمت نفسها بقالب ترفيهي ترويحي، ولكنّها اختزنت أهدافها التربوية، فتُصنّف الكشفية في باب التربية غير الرسمية، التي هي نشاط تربوي منظّم يتمّ خارج النظام الرسمي، فهي تربوية بامتياز. وتعريفها بأنها حركة تربوية يعتبر خاصيّة أساسيّة من خصائص الحركة.

تطوعيّة : تؤكّد حقيقة انضمام الأعضاء بإرادتهم الشخصية وتقبّلهم لمبادئ الحركة، وينطبق ذلك على كل من العناصر والقادة.

تهدف : تشير إلى أن لهذه الحركة أهدافاً تسعى لتحقيقها من خلال الأنشطة التي تقوم بها.

تنمية : تعني أن عملية النمو مقصودة بنفسها.

قدرات : والتربية بمفهومها العام عملية تهدف إلى التنمية الشاملة لقدرات الشخص(الفكرية/البدنية/الانفعالية/الاجتماعية)، وبذلك تتميز الحركة الكشفية عن أي حركة ترويحيّة بحتة ، فبرغم أهمية الأنشطة الترويحية في الكشفية إلا أنها تعتبر وسيلة للوصول لغاية، ولكنها ليست غاية في ذاتها.

الشباب : وتُقدّم الكشفية على أنّها حركة شبابيّة نخاطب قدراتهم وطاقاتهم الكامنة لنفجّرها، فالشباب بالمنظور الكشفي يشمل جميع الأفراد المنتسبين سواء كانوا شباباً بالفعل أم شباباً بالقوة.

مبادىء : وهي الأسس التي ترتكز عليها العملية التربوية في الكشفية.

طريقة : وهي المنهج المتبّع للوصول إلى الأهداف، وهي ما تتميّز به الكشفيّة عن غيرها من المنظّمات والمؤسسات التربويّة.

معاونة الراشدين : والراشدون هم القادة الذين تطوعوا للعمل في الكشفية، ولهم دور كبير في التوجيه والإرشاد ومساندة الشباب لحصول التنمية المطلوبة.

٤ إنّ القادم والمتوجّه إلى الكشفيّة ماذا يريد منها ؟

هو بالظاهر يريد الانخراط فيها لتلبية رغباته واحتياجاته كما يفهمها هو، فإنه لا يدرك أبعاد ما يريد، ولا قدرة له على التعبير الحقيقي عن احتياجاته .

ولكننا عندما نراه متّجهاً ندرك بأنه قادم إلينا لنساعده في تشييد بنائه التربوي الشخصي. ولكنّ البناء مهما كان فإنّه يحتاج إلى أساسات متينة، لئلا يسقط وينهار أثناء البناء، أو حين اكتماله، أو بعد الانتهاء منه.

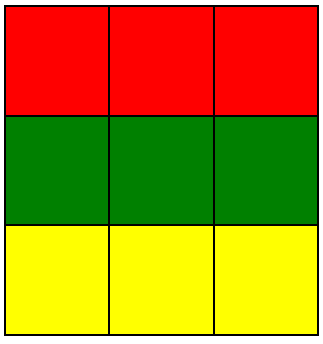

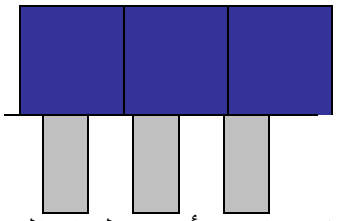

إذن ما هي أسس البناء التربوي في الكشفية ؟

إن أساسات البناء التربوي في الكشفية هي المبادىء التي ترتكز عليها الحركة الكشفية،

وهي ثلاثة : الواجب نحو الله / الواجب نحو الآخرين / والواجب نحو الذات.

ولكن ماذا يعني كل واجب من هذه الواجبات ؟

الواجب نحو الله : هو أول المبادئ الكشفية، ويعني التمسّك بمبادئ الدين والعمل بإرشاداته، والحرص على أداء شعائره والالتزام بما يدعو إليه من قيم وفضائل .

الواجب نحو الآخرين : ويتبلور من خلال ولاء الفرد لوطنه، والمشاركة في خدمة وتنمية المجتمع، مع الاعتراف بحقوق الآخرين واحترامها.

الواجب نحو الذات : يعبّر عن مسؤولية الفرد تجاه نفسه ، فلنفسه عليه حق؛ وهو تنمية قدراتها.

ويبقى السؤال :

إذا كانت الأساسات ضرورة للبناء التربوي فكيف يمكن إيجادها عند الأفراد لتتم المباشرة بالبناء.

٥ الطريق والمنهج

إن عملية تحقيق الأهداف _ أي كانت هذه الأهداف _ بحاجة إلى سلوك طريق محدد وواضح ومعروف، ومن دونه لا يمكن الوصول.

ولكي تحقق الحركة الكشفية أهدافها التربوية لا بد من منهج تتبعه، وتتميّز به عن غيرها من المؤسسات والمنظمات التربوية العاملة في المجتمع. لذا فالكشفية خطّت بوضوح منهجها التربوي القائم على الطريقة الكشفية.

فما هي الطريقة الكشفية ؟ وهل يمكن لها أن تحقق الأهداف التربوية للحركة الكشفية ؟

هذا ما سنحاول التعرّف عليه من خلال التطرّق إليها بالتفصيل .

٦ الطريقة الكشفية :

هي نظام متدرج للتربية الذاتية.

نظـام : تشـير إلـى مجموعـة مـن القـوانين والقواعـد والضـوابط التـي تحكـم الطريقـة وتوجهها.

متدرّج : تعني عملية تصاعد مبنيّ على الانتقال المتسلسل التدريجي.

للتربية : غاية النظام المتدرج هو تحقيق مردود تربوي ، فهذا النظـام بالتـالي يستند إلـى الحقائق التي توصّل إليها علماء التربية، وينسجم معها، وتشكّل له مرجعية.

الذاتية : إشارة إلى أن هذه التربية تتم بشكل ذاتي، أي أنّ الدافعيّة تنبع من الفرد نفسه، وعليه تقع مسؤولية تربية نفسه؛ فهو من يربّي نفسه بنفسه. وتعريف الطريقة على هذا الوجه هو أمر في غاية الأهمية، ولكنه يستثير لدينا مجموعة من التساؤلات.

كيف يمكن للعنصر أن يربي نفسه بنفسه ؟

ما هو دور الراشدين إذن ؟

هل يمكن تحقيق أهداف الحركة الكشفية بهذه الطريقة ويترك الأمر على غاربة ؟

٧ بماذا يذكّرنا العدد سبعة ؟

إنه يذكّرنا بأيام الأسبوع ، السماوات السبع ، الأرضين السبع ، عجائب الدنيا السبع، المساجد السبعة..

إذن ، فلنضـف إلـى قاموسـنا ، أنّ عناصر الطريقة الكشفية هي سبعة.

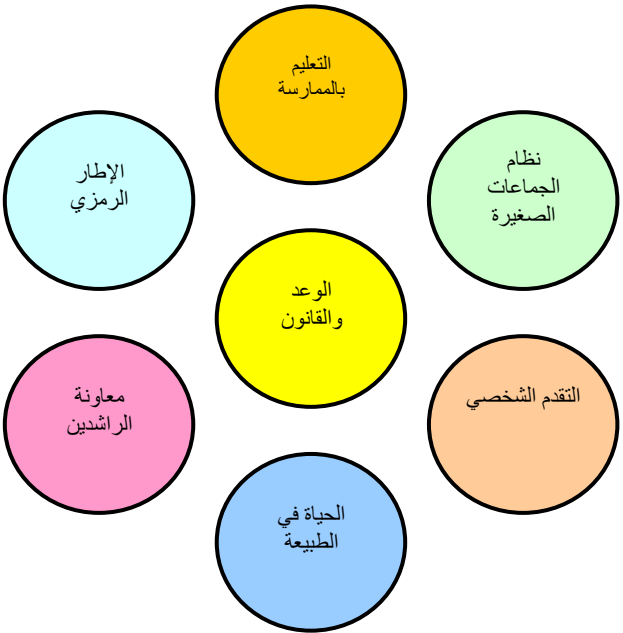

٨ ما هو القانون الكشفي ؟

هو عبارة عن مجموعة من الضوابط السلوكية التي توجّه الفرد في علاقاته مع الله والآخرين والذات، وما يستوحى منه: إفعل.

إذن هو مجموعة أوامر يتم فرضها على العنصر الكشفي، ولكننا بالعودة إلى خصائص المراحل العمرية نجد أن الأطفال والناشئة ينفرون من أوامر الكبار ويتمرّدون عليها ، فكيف نوفّق إذن بين القانون الكشفي وهذه الخاصية ؟

وللإجابة على هذا التساؤل نعود بالوراء إلى النظام الكشفي فيما يتعلق بنظام الانتساب وفترة القبول، التي تنتهي بتسليم العنصر الجديد فولار وشارة الجمعية بعد أن يؤدي الوعد الكشفي بمحضر القائد وأفراد الوحدة.

إن تأديته للوعد الكشفي يكون بإرادته وطوعه واختياره، لأنه أقبل إلى الكشفية بحريّة ولم يلزم بها او يُقهر عليها، وبعد تأديته الوعد الكشفي يكون قد إعترف أولاً بواجباته الثلاثة ضمناً (مبادىء الحركة الكشفية) وأبدى استعداده لبذل جهوده للالتزام بها ، واقرّ أمام رفاقه وتعهّد بتطبيق ما ورد في قانون الكشاف.

وهنا تكمن أولى لبنات العملية التربوية، ونستطيع المباشرة بالبناء التربوي بالاعتماد على الوعد الطوعي والالتزام الضمني.

فالوعد يكتسب أهميته الخاصة من هذه الزاوية، كونه الضمانة التي يمكن أن نبني عليها مواقفنا مع العنصر الكشفي، فيجب الاعتناء الخاص بمراسم تأدية الوعد، وإقامة احتفال خاص بذلك بحضور القائد والأفراد والاهل ليكون الإلتزام أبلغ وأعمق.

وبالتزامه الطوعي تُحلّ العقدة، ويصبح القانون الكشفي قابلاً للتطبيق، وعندئذٍ تبدأ حركة الفرد بإتجاه تحقيق أهداف الحركة الكشفية المختفية والمتوارية بين سطور وعبارات القانون " مؤمن .. يطيع .. صادق .. مهذب ..."

٩ إن ميل الفتى للعمل أكثر من ميله للتلقي

بما أن هدف الحركة الكشفية يتّجه نحو تنمية قدرات الشباب، إذن فالمقصود هو أن تتحوّل المفاهيم التربويّة إلى سلوك عملي في حياة الفرد، فلا يكفي زرع المفاهيم نظرياً فقط، بل ينبغي أن تكون النظرية مساوقة للتطبيق.

ولأجل هذه الغاية لا بد من تقديم المفاهيم النظرية بقالب عملي مباشر يخدم الغاية.

وعلى سبيل المثال : إذا أردنا أن نبني مفهوم أهمية الصدقة في الإسلام وانعكاسها على حياة الفرد والمجتمع، فلا نكتفي بالمحاضرة ونلقي ما لدينا في ذهن العنصر، إذ يجب أن يتعرّف على هذه الأهمية بشكل عملي لكي تتحوّل الصدقة إلى سلوك في حياته.

فبعد تبيان المفهوم يجب مباشرة تقديم مشروع عمل يخدم هذه الغاية. فلو كنّا على مشارف شهر رمضان المبارك فإننا نطلب من الأفراد إحضار مواد تموينية من بيوتهم وبيوت من يعرفونهم في إطار حملة لتوزيع حصص تموينية على فقراء البلدة.

وفي اليوم المحدد تجتمع الوحدة ويقوم الأفراد بجمع المواد، وفرزها، وتعبئتها، والانطلاق إلى العائلات الفقيرة المستهدفة حاملين الحصص التموينية؛ ويدخلون البيوت ويلتقون بأصحابها، ويتعرّفون على أوضاعهم بدون واسطة، فيكون للمشروع عظيم الأثر في نفوسهم، وهذا اليوم لن ينسوه، وسيمثل المشهد أمامهم كلّما صادفوا موقفاً مشابهاً، وسيكون سلوكهم ساعتئذ تقديم يد العون والمساعدة والتصدق بما تجود به أنفسهم.

١٠ الجماعات الصغيرة

انطلقت عجلة العمل لتأسيس فوج كشفي في بلدة الرملة ، وبعد جمع أسماء الأفراد الذين يودون الانتساب للكشفية تبيّن أن عددهم يفوق ستين فرداً من الأعمار التي تتراوح بين ٦ و١٦ سنة .

فكانت الخطوة الأولى بتقسيمهم مجموعات حسب نظام المراحل. ولكنه برزت مشكلة، وهي أن فرقة الكشافة تجاوز عديدها ٢٤ عنصراً والقائد الواحد قد لا يستطيع مواكبة ومتابعة الجميع، فكان القرار بتقسيمهم إلى ٤ طلائع وتعيين مسؤول عن كل طليعة، ولكن من نعيّن مسؤولا ؟ ومن هو المسؤول المؤتمن على تحقيق الأهداف التربوية للطليعة ؟ أيكون واحداً من الأفراد أم نأتي بمسؤول راشد من خارج الطليعة يمتلك مواصفات القيادة ؟

فما هو الحل الأنسب ؟ ولماذا ؟

بالعودة إلى خصائص المراحل العمرية نجد إن الطفل ينفر من أوامر الكبار ويميل إلى محاكاة وتقليد أقرانه (من بمستواه العمري)؛ إذن من الأفضل اختيار أحد إفراد الطليعة بدلاً من الإتيان بقائد من خارجها، .فنختار الأوعى والأكبر والأكفأ ، ونقوم بتوجيهه من خلال جلسات مجلس شرف الفرقة ومواكبة قائد الفرقة له؛ وبذلك تُحل العقدة ، وتصبح الأهداف التربوية للكشفية أكثر قابلية للتحقق.

فنظام الجماعات الصغيرة يعتمد على تقسيم المجموعة الكبيرة إلى جماعات صغيرة ليسهّل التعاطي معها للوصول إلى الأهداف المنشودة بتعيين أحد أفرادها مسؤولا عنها

(الذي يبقى مرتبطا بقائد الفرقة ومجلسها) ، ولهذا النظام فوائد كبيرة جدا تنعكس على العملية التربوية برمتها فيما لو أحسنّا تطبيقه وراعينا متطلباته.

انسجاماً مع تعريف الطريقة الكشفية ، فإن التربية الذاتيّة هي المحور الأساسي فيها ،لذا على الفرد أن يسعى بنفسه لتحصيل التربية بمفهومها الشمولي، ولكن بالاعتماد على نظام متدرج يساعده في تحقيق الأهداف المنشودة ، وهو أشبه ما يكون بدرج وضعت على كل درجة منه قطعة مربعة تمثل جزء من رسمة، وعلى الفرد أن يصعد الدرج ليكمل الصورة ، وبإكتمال الصورة تظهر صورة بنائه التربوي جلية .

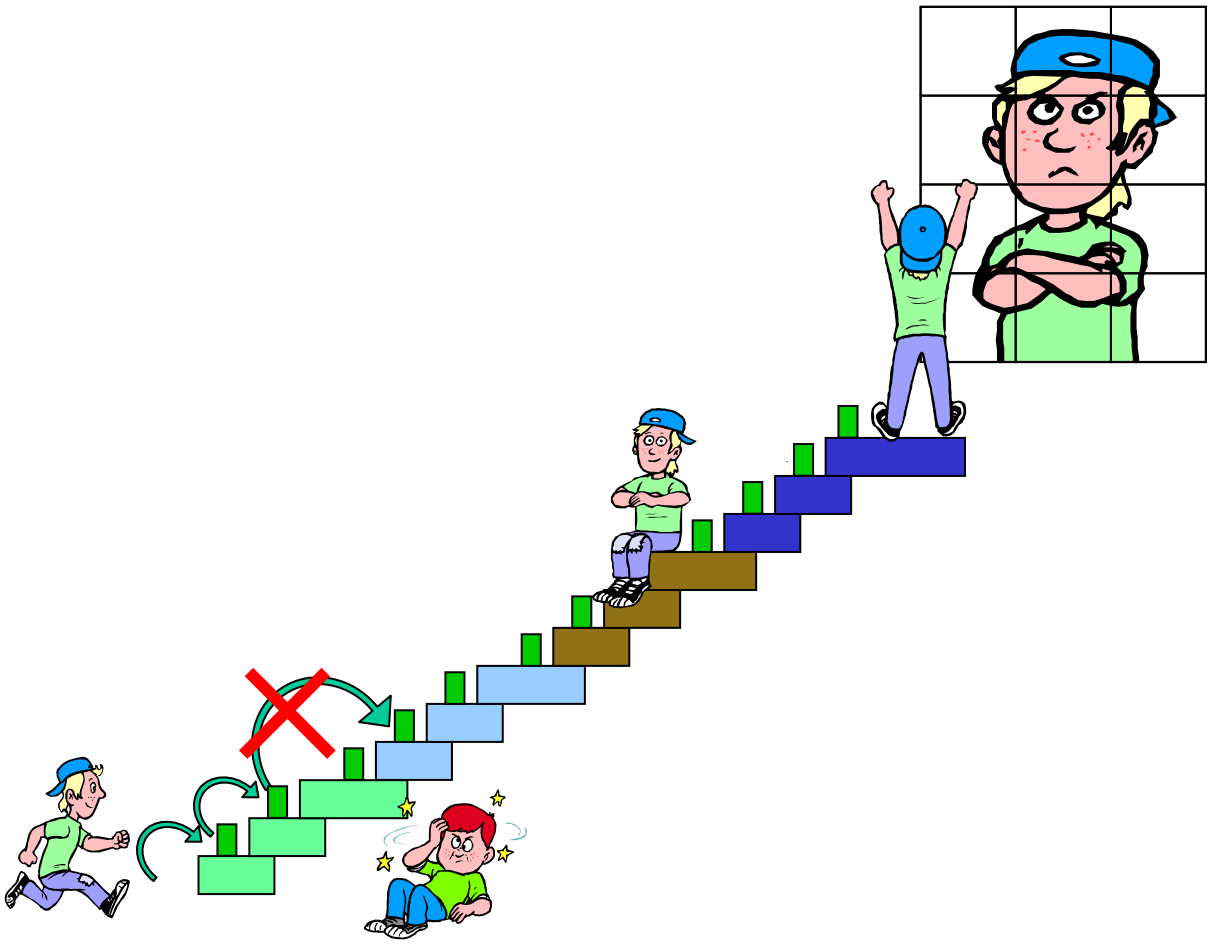

وهذه الصورة هي إنعكاس لبنائه التربوي في الكشفية ، حيث أن البناء يرتكز على المبادىء، ويتشكّل من عدد من الطوابق يمثّل كل منها مرحلة من مراحل

الكشفية ، وكل طابق يحوي ثلاث شقق تمثّل كل واحدة منها درجة من الدرجات التي يحصل عليها العنصر في وحدته.

فالكشفية بذلك تساعد الفرد على ترقي درج الأهداف من خلال نظام التقدم الذي يعتمد على سجل التقدم الخاص بكل فرد ، وبتحقق متطلبات كل درجة من الدرجات يتقدم الفرد ذاتيا باتجاه تنمية قدراته وتحقيق أهدافه التربوية بطريقة جذّابة ومشجّعة، تعتمد على جملة من الحوافز وعلى معاونة ومساعدة من الجهات الكشفية المعنيّة .

وهنا تتجلى بوضوح التربية الذاتيّة، وكيف يمكن للكشفية أن تساعد الفرد على تحمل مسؤولية تقدمه الشخصي وصولاً إلى تنمية قدراته في كافة الجوانب.

١٢ فيها حياته

إنّ أفضل مكان مناسب لتحقيق أهداف الحركة الكشفية، هو العمل في الطبيعة ووسط المجتمع، لان الأهداف المتوخاة هي بمعظمها سلوكية عملية، فالحياة الكشفية المثمرة لا يمكن أن نتصورها داخل الغرف وما بين الجدران ، إنها الحياة في الهواء الطلق، في الطبيعة وما بين الناس؛ فإننا نربي جيلاً للمستقبل، نعدّه ليكون فاعلاً ومؤثراً في محيطه الاجتماعي؛ لذا لا يمكن عزله عن المجتمع. ونريد أن ننمّي قدراته في كافة جوانب شخصيته، فلا يمكن أن نقيده، ونحد من حركته في كافة الاتجاهات.

فكانت الطبيعة هي المكان الأنسب لتنامي متوازن ولتربية عمليّة، فأهدافنا السلوكية لا يمكن أن نحققها داخل المقر الكشفي،إنها دعوة للخروج إلى المجتمع والفضاء الرحب، لنطلق العنان للأنشطة والمشاريع والبرامج المتحررة من زنزانة المقر الكشفي، فالمقر الكشفي على الرغم من أهميته يبقى هو محطة للانطلاق وليس محطة للوصول.

وبهذا المعنى يمكن أن نفهم مقولة أنّ الكشفيّة مكمّلة لحركة الإعداد المدرسي، وتسدّ الثغرات التي لا يمكن تداركها وتلافيها في المنهاج المدرسي.

١٣ دورنا نحن

بعد هذا العرض ، يمكن لسائل أن يسأل : إذن ما هو دور القادة في الحركة الكشفية طالما أن العنصر هو من يتحمّل مسؤولية تربية نفسه ؟ وكيف يتجلّى هذا الدور؟ .

وللإجابة على التساؤل سنقدّم المثال التالي :

بعد مرور ساعة على بدء عملية التدريب ، أحس المدرّب بالعطش فتولّدت عنده حاجة لشرب الماء ، وهو يعلم مسبقاً بوجود الماء في مكان يبعد مسافة ١ كلم عنه، ولكنّه لا يعرف كيفية الوصول إليه.

نظر المدرّب حوله فرأى شخصاً قادماً، بادره بالتحية وطلب منه المساعدة، فوافق القادم وطلب من المدرّب أن يغمض عينيه، ومن باب التأكد من عدم الرؤية قام بنزع فولار المدرّب ووضعه على عينيه ، ثم أمسك بيده وسار به.

وفي الأثناء طلب منه القيام بحركات لم يعرف المقصود منها ، (ارفع رجلك قليلا ، إقفز ...) وفي النهاية نزع الفولار عن عينيه، وقدّم له كوباً من الماء ، فشرب المدرب وارتوى . ثمّ عادا بنفس الطريقة إلى المكان الذي انطلقا منه .

أكمل المدرّب عملية التدريب، ولكن سرعان ما تجدد عنده الشعور بالعطش ، نظر حوله فرأى الرجل الذي ساعده جالساً تحت الشجرة ، ففكّر المدرّب قليلاً ثم خاطب نفسه قائلاً : لن أطلب منه المساعدة، لا بد ان أجد طريقة أخرى تجعلني قادراً للذهاب إلى مكان الماء كلّما احتجت لذلك. في تلك اللحظة شاهد شخصاً آخر قادماً ، فاقترب منه وطلب المساعدة، فوافق القادم الجديد مشترطاً على المدرّب أن يسير أمامه، وهو سيواكبه من الخلف.

وهكذا سار المدرّب إماماً باتجاه الهدف، وأثناء الطريق كان القادم الجديد يلفت انتباهه إلى بعض المخاطر والعوائق (هناك صخرة كبيرة أمامك ، نحن على مقربة من مستنقع ، لاتقترب من حافة الطريق ..) إلى أن وصلا إلى مكان الماء ، فشرب المدرّب وارتوى، ثمّ عاد وأكمل عملية التدريب وهو مطمئن لأنه سوف لن يعاني مجدداً من العطش.

إنّ هاتين الطريقتين تمثّلان طريقتين في التعليم، فأي الطريقتين هو الأجدى والأنفع ؟

لا شكّ أنّ الطريقة الثانية هي الأهم والأفضل، لأنّها أكسبت المدرب قدرة بلوغ الهدف بنفسه، وعرّفته كيفية الوصول، فبذل الجهد الفكري والجسدي، وكان حاضراً بكل أحاسيسه ومتفاعلاً مع كل ما يدور حوله.

أوردنا هذا المثال التوضيحي لنقول أنّ معاونة الراشدين هي من هذا القبيل، على طريقة المثل الصيني لا تعطني سمكاً كل يوم ولكن علمني كيف اصطاد.

.فدور الراشدين هو مواكبة الأفراد ومساندتهم ومساعدتهم للوصول إلى أهدافهم، ولكن بجهود الأفراد ذاتهم وبوعيهم لكل العملية، حتّى تتحوّل التربية إلى سلوك بعدما يتمّ حفرها على لوح العقل وصفحة القلب.

ويتجلى دور الراشدين أيضاً بتأمين المواقف التربوية المساعدة للأفراد في تقدمهم الشخصي، وذلك من خلال البرامج والأنشطة والمشاريع التي يعدّونها ويقومون بتنفيذها مع الأفراد، تماماً كما مرَّ معنا بموضوع الصدقة، .فضلاً عن حث الأفراد ومتابعتهم وتحفيزهم لتحقيق متطلبات تقدمهم المختلفة.

١٤ لماذا الرموز ؟

عند التأمّل في معنى الرمز، نجد انّه مصلح يشير إلى معنى محدد، فالمعنى يختفي وراء الرمز، وبمجرد حضور الرمز فإنّ المعنى يحضر تلقاء ولا يتأخر عنه، وإنّ ذكرنا للفظة "بيت" تُحضر صورة البيت مباشرة في أذهاننا، إذ أنّ هذه اللفظة مؤلّفة من مجموعة حروف، مركّبة ومرتّبة لتدلّ على معنى محدد.

إذن ما هي قصة الرموز في الكشفية ؟ وماذا نعني بالإطار الرمزي ؟

ولتوضيح الفكرة ينبغي العودة قليلاً إلى خصائص المراحل العمرية، لنجد أنّ الشباب عموماً يتماهون مع عالم الخيال الذي يحققون فيه أحلامهم، ويفرّون إليه من الإحباط في واقعهم، كما أنهم يحبون أن يحيوا بطريقة متميّزة عن الآخرين، إثباتاً لذواتهم وإشباعاً لخاصية حب الظهور.

فتأتي الكشفية لتتلبس بلباس الرموز، فتكثر من استخدامها واستعمالها، لتجتذب الشباب إليها، وتحقق بالتالي ما تصبو إليه، فكيف يحصل ذلك ؟

إن الكشفية ميدانها الطبيعة والمجتمع حيث تمارس نشاطها وتستخدم رموزها (خيمة ، تحية ، عصا ، لباس خاص ، وعد ، سهرة نار ، تكريس ..) فتجتذب الشباب إليها ، الذين جذبتهم الرموز لما لها علاقة بخصائص مراحلهم العمرية، يأتون إليها ليعيشوا الرموز ويندمجوا بالأنشطة ليلبوا احتياجاتهم، وعندما يحلّون ضيوفاً في الكشفية يعيشون الرموز ويستخدمونها، وحيث أن لكل رمز دلالاته ومعانيه، فعندما يعيشون الرموز فإنّ المعاني والدلالات لن تتخلّف، فيعيشون الرمز والمعنى معاً، وعندما تحضر المعاني تتحول إلى مفاهيم وقيم وسلوك واتجاهات لديهم .

فالعنصر عندما يرتدي اللباس الكشفي الذي هو بحد ذاته رمز، فإنّ المعاني التي تختفي في اللباس الكشفي تتداعى وتحضر وما أكثرها. فاللباس يعني الانضباط والنظام والترتيب والنظافة والجهوزية والانتماء والتميّز... .وهذه المعاني كلّها هي في الواقع أهداف تربوية تسعى الكشفية إلى تحقيقها من خلال حركتها العامة. .فللرموز عظيم الأثر في انعكاساتها التربوية، وكلّما تزايد عددها كلّما جنينا المزيد من المردود التربوي غير المباشر.

فالإطار الرمزي هو السور الحاضن للأهداف الكشفية الرامية إلى تنمية قدرات الشباب في إطار التربية الشمولية، وليس عبثاً أن تتلبّس الكشفية بثوب الرموز .

وبالعودة إلى العناصر السبعة نجدها تدور حول فلك الوعد والقانون، فهما المحور فيها، والعناصر جميعاً مترابطة متماسكة متّصلة لا تنفك عن بعضها البعض، فلكل عنصر دوره في إطار تكاملي ، ولا يمكن الاستغناء عن أحدها أو الاكتفاء ببعضها، كل متكامل يخدم الهدف الذي من أجله وجدت .

إلى هنا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف لنقول : هذه هي الكشفية كما أرادها مؤسسها، وهذه هي الكشفية كما يراها التربويون، وهذه هي الكشفية كما ينبغي أن نمارسها.